Sri Lankan Journal of Arabic and Islamic Studies, 5(2) 2022
Published by Faculty of Islamic Studies and Arabic Language, ISSN: 2550:3014
Published: December 2022

النقد الأدبي بين التسجيل والتوجيه في كتاب "طبقات فحول الشعراء" للإمام ابن سلام الجمحي: دراسة وصفية

(ARABIC LITERARY CRITICISM BETWEEN QUOTING AND GUIDING AS CONTAINED IN IMAM IBN SALAM AL JUMAHI'S TABAQAT FUHUL SHU'ARA: A DESCRIPTIVE STUDY)

KHALIL MOHAMMAD USMAN GBODOFU

DEPARTMENT OF ARABIC, UNIVERSITY OF ILORIN, NIGERIA
khalilulahgbodofu@gmail.com

Abstract:

Quoting and Guiding, as a theme, is considered as one of literary criticism topics that lacked adequate studies from Arabs and non-native speakers of Arabic, as they did on emotion, imagination and style. Indeed, the said theme needs adequate studies for acquiring more aesthetics required in the literary field. This paper aimed at documenting facts about quoting and guiding, with the case study of Imam Ibn Salam Al-Jumahi's Tabaqat Fuhul Shu'ara and identification of the likes and discrepancies between the terms. The descriptive method was adopted in the analysis and evaluation of the thoughts in the book, after documenting the biography of the author. It is therefore recommended that thorough review should be done on available poetry therein, but in line with the modern criticism tenet that will suit the tastes of the modern critics.

Keywords: *Literature, Criticism, Quoting, Guiding, Ibn Salam*

الملخص:

تعدّ موضوع التسجيل والتوجيه من الموضوعات النقدية التى لم يهتمّ بها الدارسون العرب وغيرالعرب مثل اهتمامهم بالعاطفة والخيال والأسلوب، وهذا الموضوع مما ينبغي دراسته في الأعمال النقدية للوقوف على السّمات الفنية الكائنة في احتكاك الأديب نفسه وبغيره عند سرد النصوص. وفي هذه الورقة سلطنا الضوء على معاني التّسجيل والتوجيه عند علماء اللغة، وناقشنا التسجيل والتوجيه في كتاب طبقات فحول الشّعراء للإمام ابن سلام الجمعي؛ الأمرالذي أدى إلى دراسة أماكن الاتفاق وجوانب الاختلاف بين المصطلحين، ومن ثمة آثرنا المنهج الوصفي في دراستنا هذه، وخاصة عند ذكر تاريخ حياة مؤلف كتاب الطبقات، وعند تحليل النّصوص الواردة فيه، وفي تقييم أفكار صاحب الكتاب وآرائه العلمية والفنية. وفي الخاتمة قدمنا بعض الاقتراحات للقراء، منها: أن يحققوا الأشعار الواردة في هذا الكتاب تحقيقًا يناسب ذوق الباحثين المعاصرين، وأن يدرسوا الكتاب في ضوء المنهج النّقدي الحداثي.

الكلمات المفتاحية: النقد، الأدب، التسجيل، التوجيه، ابن سلام

المقدمة:

جمع فريق من المؤلفين العرب تراث أدبائهم وشعر شعرائهم، وسجلوه في مصنفاتهم، منهم من أولع ببيان حياة الشعراء والبيئة التى نشؤوا فيها، مصحوبا بذكر منزلتهم بين نظرائهم، ومنهم من عرض نماذج من أشعار

الشعراء، وآراء النقاد فيهم، ومنهم من اعتمد على ما رواه الرواة والعلماء، وعلى ما انبثق من ذوقهم وحاستهم، وطبقه تطبيقا في دراساته الفنية، ومنهم من اجتمعت لديه هذه المعلومات وهذه الصفات ووصفها في كتابه أو تأليفه ومن هؤلاء الإمام ابن سلام الجمحي صاحب أقدم الكتب في النقد الأدبي عند العرب، ولقد تعرض الجمحى في هذا الكتاب لعدد من القضايا التى تتصل بأصول النقد العربي، وثقافة الناقد، وتحدث عن أولية الشعر العربي، وأول من جمعه، وكذلك تناول صنيعة بعض الرواة في وضع الأشعار على غير أصحابها، وأشار إلى أولية النحو العربي،.وبعض الأخطاء النحوية للشعراء. ويبدو أن ابن سلام سار في هذا الكتاب على المنهجين: التاريخي والفني، والكتاب يدل على ثقافة صاحبه وفكره، وتكشف عن حسه النقدي، ولهذا يدرسه الدارسون ويبحثون عن مضامينه التى لا ينبغي أن يغفلها الدارس النقدي كقضايا التسجيل والتوجيه التى هي محور الموضوع لهذه الورقة. وأما الباحث في هذا العمل فإنه سيسلط الضوء على معاني التسجيل والتوجيه عند اللغويين والأدباء، ويتحدث عن المؤثرات العامة والخاصة في هذا الموضوع، مع تعليقه وتوصياته واقتراحاته في الخاتمة معتمدًا على المراجع الأدبية والمصادر النقدية التي لها صلة بهذه الورقة، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكلل هذا العمل بالصواب والنجاح.

ابن سلام الجمحي: حياته وكتابه (طبقات فحول الشعراء)

هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي البصري، ولد بالبصرة سنة ١٣٩هـ، وتوفي في بغداد سنة ٢٣١ أو سنة ٢٣٢هـ، وقد قرب من ثلاث وتسعين سنة،(العاكوب، ٢٠٠٦م) ونشأ في بيت علم وأدب، فأبوه من رواة الأدب، وأخوه عبد الرحمن من رواة الحديث أما ابن سلام فكان راوية للشعر، ومؤلفًا فيه.(عازل، ١٩٩٨م)

ذكر محمود شاكر أسماء شيوخه في كتاب "الطبقات" فكان عددهم تسعة وسبعين شيخا، وكان منهم: الأصمعي، وبشار بن برد، وخلف الأحمر، وأبو عبيدة معمر بن المنشئ، ومروان بن أبي حفصة، والمفضل الضبي، ويونس بن حبيب، كما حدث عن آخرين غير هؤلاء الذين ذكرهم في الطبقات، وقد سمعه كثيرون غدوا من أئمة العلم في عصرهم، ومنهم أحمد بن يحي ثعلب، والرياشي، والمازني، وأحمد بن حنبل، ويحي بن معين، وأبو خليفة الجمحي، (العالكوب، ٢٠٠٦م)، ذكر ابن النديم في الفهرست بعض مؤلفاته، وهي:

١- كتاب الفاضل في ملح الأخيار والأشعار.
٢- كتاب بيوتات العرب.
٣- كتاب طبقات الشعراء الجاهليين .
٤- كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين.
٥- كتاب الحلاب وأجر الخيل.

وذكر غير ابن النديم:

٦- كتاب في طبقات الشعر.

٧- غريب القرآن. (العالكوب، ٢٠٠٦م)

وأما كتابه الذى ندرسه، فقد ظل معروفا باسم "طبقات الشعراء"، لفترة طويلة بناء على رواية ابن النديم في فهرسة، وياقوت الحموي في "معجم الأدباء" وحملت مطبوعاته والدراسات التى دارت حوله هذا الاسم، حتى جاء الأستاذ محمود شاكر، في العصر الحديث وقام بتحقيقه، وجعل عنوانه: "طبقات فحول الشعراء" واعتمد محمود شاكر في هذا، على نسخة مخطوطة وقعت في يده وتحمل هذا العنوان "طبقات فحول الشعراء".(عازل، ١٩٩٨م)

وهناك دلائل تشير إلى إن ابن سلام نفسه يقصد الفحول في هذا الكتاب، منها قوله: "...اقتصرنا في هذه على فحول الشعراء الإسلاميين، للاستغناء عن فحول شعراء الجاهليين" (الجمحي، ١٩٧٥م).ثم قال "ورتبت هذا المؤلف على عشر طبقات، كل طبقة تجمع أربعة من فحول شعراء الإسلام" (الجمحي، ١٩٧٥م)، وفي قول أبي الفرج الأصفهاني في كتابه (الأغاني) ما يدل على هذا الاسم حين يتحدث عن المخيل السعدي، وقال: "وذكره ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء"، (الأصفهاني، ١٩٧٢م) وقال في ترجمة عبيد بن الأبرص: "وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهليين". (الأصفهاني، ١٩٧٢م)

يبدو أن الأستاذ محمود شاكر وقف على هذه المصادر واعتمد عليها، وبهذا يري أن ابن سلام قصد في مؤلفه مجموعة معينة من الشعراء- وهم الفحول- ووضعهم في طبقات، ولم يقصد جميع الشعراء حتى نقول: طبقات الشعراء بما تفيده من عموم. (عازل، ١٩٩٨م)

وأما أول من قام بتحقيق هذا الكتاب فهو المستشرق (يوسف هل) وطبعه عام ١٩١٣م في مدينة "ليدن" بهولدا" ووازن بين صاحب هذا الكتاب والأصمعي، في أصمعياته، وفي عام ١٩٢٠م طبع الكتاب مرة ثانية في مصر، وفي عام ١٩٥٢م قام محمود شاكر بتحقيقه، وطبع في دار المعارف، ضمن سلسلة "ذخائر العرب" وهذا الطبع يعد أحسن طبعة، وأجمل تحقيقا لدى الدارسين اليوم.

بين يدي التسجيل والتوجيه:

ورد في لسان العرب قولهم: أسحل الرجل: أي كثر خيره، والإسجال: الإكثار، (مطلوب، ٢٠٠١م) وقال العلويّ: "هو تطويل الكلام والمبالغة فيما سبق من أجله من مدح أو ذم. وهو نوع من الإطناب، خلا أن الإطناب عام في كل مقصود من الكلام والتسجيل خاص في المبالغة في المدح أو الذم". (مطلوب، ٢٠٠١م)

وأما في الدراسات النقدية، فالتسجيل هو: ضبط الأديب آراء الآخرين في موضوع من موضوعات الأدب والنقد. وفي مثل هذا يسجل الله سبحانه وتعالى آراء الملائكة في قوله: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك". (سورة البقرة: ٣٠)

التوجيه: توجّه إليه: ذهب، ووجهته في حاجة ووجهت وجهي لله وتوجهت نحوك وإليك. (مطلوب، ٢٠٠١م) وقال الحموي: التوجيه: مصدر توجّه إلى ناحية كذا: إذا استقبلها وسعي نحوها. (مطلوب، ٢٠٠١م) وفي الدراسات النقدية، التوجيه هو: إبداء رأي الأديب في قضية من قضايا الأدب أو النقد، أو تنبيه الناس إلى ما يراه صحيحا في العمل الفني، لأن نقاد العرب قد أدركوا منذ الوهلة الأولى أن للنقد أثره في توجيه الأدباء، منهم من يوجّه الكتاب أو الشعراء الوجهة الصالحة، مما أفادها من تجاربه، (بدوي، ٢٠٠٣م)، ومن هؤلاء أبي العباس المفضل بن أبي يعلى الضبي، وأبو سعيد، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي ابن أصمع، وأبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، وأبو عثمان عمرو بن بحرين محبوب المعروف بالجاحظ، وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وغيرهم.

الجانب التسجيلي:

أراد ابن سلام الجمحي أن يسجل لنا الوقت الذى بدأ فيه الشعر بنشأة عند العرب، وآراؤه في هذا الموضوع تنفي ما نسب من شعر إلى الأقوام الأولى، كعاد وثمود وحمير، وتبع، ولهذا قال: "لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت القصائد وطوّل الشعر على عهد عبد المطلب، وهاشم بن عبد مناف، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع". (الجمحي، ١٩٧٥م)

في هنا يذهب ابن سلام إلى أن العربي في الوهلة الأولى يقول البيت أو قليلا من الأبيات ليعبر به عن حاجاته، لم يأخذ الشعر صورة طويلة كما نراه اليوم إلا في وقت متأخر عندما ظهر من يكافئ على المديح. (العالكوب، ٢٠٠٦م)، وفي هذا نجد أن في آراء ابن سلام تناقضًا واضطرابًا حول هذا التسجيل، لأنه يقول في مكان آخر أن الشعر بدأ على يدي المهلهل إثر الرثاء الذى صوّر فيه الوقائع والتيارات والدماء، وفي ذلك يقول: كان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل: قتلته بنو شيبان، وكان اسم المهلهل عديّا، وإنما سمي مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثوب... ومن ذلك قول النابغة:

أتاك بقول هلهل النسج كاذب ** ولم يأت بالحق الذى هو ناصع (الجمحي، ١٩٧٥م)

ولا أشك في أنه تأثر الرواية والأخذ من أفواه العلماء تأثيرا كبيرا في تسجيل ابن سلام هذه القضية على هذا النمط، وهذا التناقض أو الاضطراب الذى نأخذه عليه يرجع سببه إلى اختلاف أقوال العلماء حول

الأمر.وعلى إثر هذه القضية يسجل لنا ابن سلام أن هناك نظام السيادة في الشعر أو بين الشعراء؛ وهو أن الشعر ينتقل بين الشعراء أو ينتقل من هنا إلى هناك، وأن شعراء القبيلة تتلمذ بعضهم على بعض، وقال: "كان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم المهلهل، والمرقشان، وسعد بن مالك، وطرفة بن العبد، وعمرو بن قميئة، والحارث بن حلزة، والمتلمس، والأعشي، والمسيب بن علس. ثم تحول الشعر في قيس: فمنهم: النابغة الذبياني – وهو يعدون زهير بن أبي سلمي من عبد الله بن غطفان، وابنه كعبا وعبيد، والنابغة الجعدي، والخطيئة، والشماخ وأخوه مزرّد وحداش بن زهير. ثم آل ذلك إلى تميم فلم يزل فيهم إلى اليوم".(الجمحي، ١٩٧٥م)

وبهذا القول يسجل لنا ابن سلام رأي العلماء بأن الشعر يتجول بين قبائل العرب، وأن قبيلة تتأثر بأخرى في القرض وفي الاتيان بالجمال الفني، ويؤكد ابن سلام هذا الرأي بالإشارة إلى عدد من علماء العربية ونقدة الشعر الذين ينظرون إلى الشعر، وينزلون الشعراء في المكان الذى يليق بكل واحد منهم، وقال: "كان لأهل البصرة في العربية قدمة، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية، وكان أول من أسس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدولي، وهو طالم بن عمرو بن سفيان ... وكان ممن أخذ عنه يحي بن يعمر وهو رجل من عدوان، وعداده في بني ليث، وكان مأمونا عالما، يروي عنه الفقه... ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وكان أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل، وكان معه أبو عمرو بن العلاء، وبقي بعده بقاء طويلا. وكان ابن أبي إسحاق أشد تجويدا للقياس، وكان أبو عمرو أعلم بكلام العرب ولغاتها وغريبها... وكان عيسى بن عمر أخذ عن أبي إسحاق، وأخذ يونس عن أبي عمرو بن العلاء، وكان معهما مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب الفهري". (الجمحي، ١٩٧٥م)

وفي هذا الصدد يحاول ابن سلام أن يخبرنا عما في بعض البيئات العربية من علم وثقافة، والشخصيات العلمية التى تمثل هذه البيئات، وهذه الشخصيات هي التى تحفظ للعربية صفاءها وضبطها ودقتها، (العالكوب، ٢٠٠٦م) وتصونها من الفساد والاضمحلال وهؤلاء هم الذين كوّنوا أول مدرسة نقدية للغة العربية، وقد أوضح ابن سلام منزلة بعضهم العلمية ومن ذلك قوله: "سمعت أبي يسأل يونس عن ابن أبي إسحاق وعلمه قال: هو والنحو سواء – أهو الغاية. قال فأين علمه من علم الناس اليوم؟ قال: لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه يومئذ لضحك به، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه، ونظر نظرهم، كان أعلم الناس.....وسمعت يونس يقول: لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد، كان ينبغي لقول أبي عمرو في العربية أن يؤخذ كله، ولكن ليس أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك". (الجمحي، ١٩٧٥م)

أراد ابن سلام في هذا الأمر أن يكون ما سمعه عن والده مسجلا في التاريخ، وأنه بواسطة والده عرف يوسف وأخذ منه المعلومات منها أن يونس هذا هو الذى أخبره بمنزلة علمية يتبوأها بعض العلماء، إذ قال:

"أخبرني يونس أن أبا عمرو كان أشد تسليما للعرب، وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان عليهم". (الجمحي، ١٩٧٥م)

نلاحظ من خلال هذا القول أن يونس ينظر إلى العلماء المعاصرين له من حيث علمهم ومن حيث الموضوعات التى تخصصوا فيها، ويقيم لهم الوزن حسب ذلك، وأما ابن سلام فعندما يتحدث عن علماء الشعر ونقاده، يسجل بينهم اسم خلف بن حيان أبو محرز المعروف بخلف الأحمر، وقال "اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر، وأصدقه لسانا. كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا". (الجمحي، ١٩٧٥م)

وهذا يدل على تسجيله للموقف العلمي لمعظم أساتذة مدرسة نقد الشعر العربي القديم، ومن ثم انتبه ابن سلام إلى تاريخ اهتمام العرب بالشعر، وسجل للتاريخ أن كثيرا من شعر الفحول ضاع وسقط وفي ذلك يقول: "كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون... قال عمر بن الخطاب: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوحات واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مدوّن، ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم منه كثير". (الجمحي، ١٩٧٥م)

هذا، فبضياع عدد كثير من أشعار الجاهلية والإسلام انفرد بعض الشعراء بقصيدة واحدة، وإلا كيف يوصف الشاعر بفحل في الشعر ولا يوجد له سوى قصيدة واحدة أو أبيات قليلة فقط، يقول ابن سلام: "مما يدل على ذهاب الشعر وإسقاطه قلة ما بقي بأيدى الرواة المصححين لطرفة وعبيد اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر، وإن لم يكن لهما غيرهن، فليس يستحقان مكانهما على أفواه الرواة. ونرى أن غيرهما قد سقط عن كلامه كلام كثير غير أن الذى نالهما من ذلك أكثر. وكانا أقدم الفحول فلعل ذلك لذلك، فلما قل كلامهما حمل عليهما حمل كثير". (الجمحي، ١٩٧٥م)

إذًا كان ابن سلام يسجل من خلال هذه النصوص كيف نشأ الشعر والبيئة التى نشأ فيها، فإنه بدوره يسجل التاريخ للأدب العربي لأول مرة وذلك إذ أخذ في هذا، يسرد المعلومات حول أولية الشعر العربي، وتنقله بين القبائل، وأول مدرسة نقدية للشعر عند العرب وكيف انقطعت الرواية عنه، لم يقصد ابن سلام إلى سرد التاريخ في هذا الكتاب، ولكنه استخدم التاريخ ليبرز الحقيقة إلى الناس، فالنقد الأدبي يسبق التاريخ الأدبي عند العرب وعند الأمم غير العرب، وذلك لما هو واضح في تاريخ كل الأمم القديمة من أن الدراسات التاريخية المنظمة لم تنشأ إلا بعد أن اجتمع لدى كل أمة تراث شعرت بالحاجة إلى مراجعته... وهذا واضح في تاريخ اليونان حيث لم تبدأ دراسات التاريخ الأدبي إلا في عصر الاسكندرية وعند اللاتنيين حيث لا نرى تلك الدراسات إلا ابتدأ من

عصر الامبراطورية بعد انقضاء حكم أغسطس. وكذلك عند العرب فهي لم تظهر إلا في العصر العباسي حيث غلبت الصنعة على الطبع والتقليد على الأصالة. (مندور، ٢٠٠٧م)

الجانب التوجيهي:

تحقيق النصوص الشعرية

فطن ابن سلام الجمحئ إلى أهمية تحقيق النص في الشعر العربي، فنادى إلى الحذر من الشعر المصنوع أو المنحول على قبائل وشعراء، لأن بعض الرواة قد أفسدوا الشعر العربي إبّان جمعه وتدوينه، ذلك للعصبية التى أدت إلى تمزيق المجتمع الإسلامي، وإحياء التفاخر بالأنساب، يقول ابن سلام: "فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم، ووما ذهب من ذكر وقاته، وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التى قيلت وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا، ولا ما وضع المولدون، وإنما أو الرجل ليس من ولدهم، فيشكل ذلك بعض الإشكال". (الجمحي، ١٩٧٥م). يدل ابن سلام على وضع الشعر وعلى نحله من أيدى الرواة والعشائر التي قالت بأهوائها، ويقول أنه لا يشكل على العلماء المحقيقين أن يميزوا عن الروح" لقبلية التى أفسدت نسبة الشعر إلى صاحبه وأفسدت كذلك الملاحظة بل تعداها إلى توكيد صدق ما ذهب إليه، ومن هنا ذكر قصة حفيد متمم بن نويرة الذى سُئل عن شعر جده فأجاب: ولما نفد شعره أنشأ يزيد في الشعر، ويفتعله منسوبا إلى جده وليس له. (الجمحي، ١٩٧٥م)

هذا، لنعرف أن النحل أثر كثيرًا في الشعر، العربي القديم، وبهذا ذكر ابن سلام أسماء من اشتهروا بوضع الشعر ونحله وقال: "أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها: حماد الراوية، وكان غير موثوق به، وكان ينحل شعر الرجل غيره، وينحل غير شعره، ويزيد في الأشعار. (الجمحي، ١٩٧٥م) وبعده ذكر اسم إسحاق بن يسار الذى يروى كل مايرد إليه ويستعمله في السير والأخبار، دون التأكيد من صحة نسبته إلى قائله: استشهد ابن سلام على هذا بقول الزهري الذى قال: كان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحاق بن يسار. فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر ويقول: لا علم لي بالشعر، أؤتى به فأحمله، ولم يكن ذلك له عذرًا، فكتب في السيّر أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرًا قط، وأشعار النساء فضلا عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعارًا كثيرة، وليس بشعر إنما هو كلام مولّف معقود بقواف، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أدّاه منذ آلاف السنين. (الجمحي، ١٩٧٥م). وأما ما نسب إلى عاد وثمود وأمثالهما فقد ردّ ابن سلام على إسحاق بقوله: "فنحن لانقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرًا، فكيف بعاد وثمود فهذا الكلام الواهن الخبيث، ولم يرو قط عربيّ منها: بيتًا واحدًا، ولا رواية للشعر مع ضعف أسره وقلة طلاوته"، (الجمحي، ١٩٧٥م)، إذا فجهل بمصدر النص الشعري أو بحقيقة صاحبه ليس عذرًا

في إيراده أو ضرب التارع به، وشهرة النص ولا نعني صدقه أو صحة نسبته إلى من نسب إليه، فهذا يحتاج إلى تمحيص وتثبيت في الرواية؛ لا يفر آفة ادعاء الشعر ونحله لم يسلم منها حتى كبار الشعراء. قال ابن سلام أنه روى عن أبي عبيدة أنه قال: "كان قراد بن حنش من شعراء غطفان، وكان قليل الشعر جيده، وكانت شعراء غطفان الغير على شعره قتأخذه فتدعيه، منهم زهير بن أبي سلمى ادّعى هذه الأبيات:

إن الرزيّة لارزية مثلها ** ما تبتغي غطفان يوم أضلت

إن الركاب لتبتغي ذامرة ** بجنوب تخل إذا الشهور أحلت (الجمحي، ١٩٧٥م)

ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا ** نهلت من العلق الرماح وعلت

لم يترك ابن سلام الجمحى هذه القضية أن تذهب سدى، بل وجهنا إلى ما فيه الخير والصواب، وحاول أن ينقد الشعر العربي من ويل والوضع والنحل، وفي ذلك ذهب إلى أنه على الدارسين أن يأخذوا عن أهل البادية، أو ما أجمع على صحته أهل العلم والرواية وأشاد في ذلك بدور علماء البصرة أمثال عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وأبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر. وأمثالهم ممن ذكرا آنفا، وأما خلف الأحمر فقد قال عنه ابن سلام:

اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر، وأصدقه لسانا، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرًا أو أنشدنا شعرًا أن لا نسمعه من صاحبه". (الجمحي، ١٩٧٥م)

وبهذه الطريقة وجهنا ابن سلام الجمحى إلى عدد من معالم في سبيل تحقيق النصوص والشواهد قبل التعامل به، وهذا التحقيق الذى يدعونا إليه ابن سلام هو الصدق في البحث والرواية، والاتقان في العلم النقدي. وأما الناقد الذى لم يتصف بهذه الصفات فلا حاجة إلى عمله وصناعتة، لأن التدليس في العمل النقدى أعظم خطرًا من غيره.

الدربة والممارسة

يتحدث عدد من الأدباء والنقاد عن قصية الدربة والممارسة في النقد الأدبى، وأول من تحدث عنها – حسب علمنا– هو ابن سلام الجمحى، ولعل، السبب الذى أدى به إلى الحديث عن هذه القضية هو الثقافة الذوق الفنى يدعوا النقاد إلى أن يتحلوا بثقافة واسعة قبل العمل النقدي، وفي ذلك يقول: "الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم، والصناعات ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان، ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت والدرهم لاتعرف جودتهما بلون ولامس ولا طراز ولاحس ولاصفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزئفها ومفرغها، ومنه البصر بغريب النخل والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده وتشابه لونه ومسه

وزرعه حتى يضاف كل صنف منها إلى البلد الذى خرج منه، وكذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال ناصعة اللون جيدة الشطب، نقيّة الشغر حسة العين والأنف جيدة النهود، ظريفة اللسان واردة الشعر، فتكون بهذه الصفة بمائة دينار وبمائتى دينار وتكون أخرى بألف دينار وأكثر لا يجد واصفها مزيدًا على هذه الصفة... ويقال للرجال والمرأة في القراءة والغناء: إنه لندىّ الخلق، ظل الصوت طويل الأنفس، مصيب للحن- ويوصف الآخر بهذه الصفة، وبينهما بون بعيد يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له، بلا صفى ينتهى إليه، ولا علم موقف عليه، وإن كثير المدارسة لتعدى على العلم به،(الجمحي، ١٩٧٥م)، فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به" يؤكد ابن سلام في هذا النص أن ثقافة الناقد شرط خاضى من شروط تؤثر في الأحكام النقدية، وأنها الحكم المرضيّ في شؤون النقد الشعري، لأن شأن العالم بالشعر أو ناقده كشأن الصراف الخبير بالنقود في قيمة أحكامها ووجوب اعتمادها والأخذ بها. (العاكوب، ٢٠٠٦م). ومن ناحية أخرى يدل ابن سلام على صواب هذه الفكرة، لأنه روى أنه "قال قائل خلف: إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك. قال: إذا أخذت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف: إنه ردى فهل ينفعك استحسانك إياه". (الجمحي، ١٩٧٥م). وبهذا يتضح لنا ان ابن سلام يوجهنا إلى الاعتداد بالدربة والممارسة في العمل النقدي لأن هذا النقد لابد له منهما، وهذه الدربة والممارسة هما عنصران من عناصر الذوق الفنى والاعتداد بهما في عملية النقد هو الاعتداد بالتفقه في الفن والأمانة في أدائه على وجه الأصح والأكمل.

الجمع بين التسجيل والتوجيه:

هذه الظاهرة عند حكم ابن سلام على الشعر والشعراء، وعند وضعه الشعراء في الطبقات، وكذلك عند تقسيمه الشعراء إلى أقسام مختلفة:

١- وأما حكمه على الشعراء فمثاله ما رواه ابن سلام نفسه، أن ابن داب سئل عن جرير والفرزدق فقال: "الفرزدق أشعر عامة، وجرير أشعر خاصة"، (الجمحي، ١٩٧٥م)، أي الفرزدق أشعر عند أعوام الناس، وأما جرير فهو أشعر عند نقاد الشعر، وأما موازنته بين جرير والفرزدق والأخطل، والراعى، وهم شعراء الطبقة الأولى من الإسلاميين، قال: "اختلف الناس فيهم أشد الاختلاف وأكثره. وعامة الاختلاف، أوكله، في الثلاثة. ومن خالف في الراعي قليل، كأنه آخرهم عند العامة"، (الجمحي، ١٩٧٥م)، يعنى أن الراعى في المرتبة الأخيرة بين زملائه

فابن سلام يريد هنا أن يرينا مدى ثقافة بعض النقاد ومساهم في تذوق الشعر، ولهذا روى عنهم وسجل موقفهم النقدي، وعندما يناقش الجانب الأخلاقى، أو تعفف البعض من الشعراء وتعهدهم أخذ يقول: "كان جرير مع إفراطه في الهجاء، يعف عن ذكر النساء، كان لايشبب إلا بامراة يملكها.

وفي دراسة الذوق الفني المتأثر بالمكان والقبيلة يقول ابن سلام عن كثير: "كان كثير شاعر أهل الحجاز، وأنهم يقدمونه على بعض من قدمنا. وهو شاعر فحل ولكنه منقوص حظه بالعراق". وعند موازنته بين الشعراء الجاهليين حول استعمال الأبحر المختلفة في الأعشى على غيره، وقال: كان "أكثرهم عروضاء وأذهبهم في فنون الشعرء وأكثر طويلة جيدة، وأكثرهم مدحًا وهجاء وفخرًا ووصفا". وعلى ضوء هذه النصوص نرى كيف يجمع ابن السلام بن النقد التسجيلي والتوجيهى.

٢- وضع ابن سلام الشعراء في الطبقات، وهي ثلاث وعشرين طبقة، بنى تصوره النقدى على مائة وأربعة عشر شاعرًا من شعراء الجاهلية والإسلام وهذا يؤمن ابن سلام أنه نزل كل شاعر منزلة تليق به، وأخذ يقول: "فصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام (الجمحي، ١٩٧٥م)، فنزلناهم منازلهم. يذهب العاكوب إلى أن عدد الشعراء الذين درسهم ابن سلام في كتابه يساوى تماما عدد سور القرآن الكريم، إذ عددها أربع عشرة ومائة سورة، وعدد الطبقات التي قسمهم إليها وهي أيضا يناسب عدد سنة أنزل الله فيها الوحي على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. (العاكوب، ٢٠٠٦م). وفي الحقيقة إن الطبقة، جمعها الطبقات وهي تعنى: "المساواة"، إذا الطبق من كل شئ ما ساواه، وقد طابقه مطابقة وطباقا، أى ساواه مساواة. ويبد وأن ابن سلام أراد بـ"الطبقة" جماعة من الشعراء تشابهت في أمر من الأمور، ويفهم من القرائن أن التشابه الذي جعله أساسا للتأليف بين أفراد الطبقة الواحدة، قد يكون تشابها في المذهب الشعرى، أى طريقة النظم.

وفي تنظيم هذه الطبقة جعل ابن سلام كل من الشعراء الجاهليين والإسلاميين في عشر طبقات، وقصر كل الطبقة على أربعة شعراء، ومن خلال هذا نرى أنه كان لابن سلام الجمحى فكرة في الجمع بين السجيل والتوجيه، وخاصة في هذا الصدد، وهذه الفكرة هي على النحو الآتي:

أ- إن تنظيم الشعراء في عشر طبقات، وتقسيمهم إلى الأربعين شاعرًا على ضوء تلك الطبقات الذى أفضى إلى أن تكون عدة الشعراء في كل طبقة أربعة شعراء، يدل على كون شاعر مختار فحلا مشهورا من بين الشعراء العرب، كما يدل على ابن سلام حول التشابه في شعره وأشعار أقرانه، وفي ذلك يقول: اقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه، فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط كل طيقة، متكافئين معتدلين". (الجمحي، ١٩٧٥م)

ب- إن تقديم ابن سلام الجمعي واحدًا من الشعراء في الذكر، لايعنى تقديمه على غيره في الفن الشعري، ولهذا قال: "اقتصرنا –بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم –إلى رهط أربعة- اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة، ثم اختلفوا فيهم بعد. وسبب اختلافهم واتفاقهم، ونذكر الحجة لكل واحد منهم- وليس

تبدئتنا أحدهم في الكتاب نحكم له، ولابد من مبتدأ – ونذكر من شعرهم الأبيات التي تكون في الحديث والمعني". (الجمحي، ١٩٧٥م)

وهذا يوحى بأن تحديد طبقة للشعراء وإنزالهم منزلة كانوا عليها، ناشئ عن إجماع أهل العلم، وفحص ابن سلام ونظره. أما مستواه داخل طبقته فليس ثمة اتفاق عليه. (العاكوب، ٢٠٠٦م)

ج- إذا لاحظ ابن سلام التشابه في أكثر من أربعة شعراء، فإنه في مثل هذا الحال: لا يرمى المبدأ الذي بني عليه منهجه عرض الحائط، بل يصمم عليه، ويذكر اسم ذلك الشاعر الذى في الطبقة التي بعدها أو التي تليها، ويدرس شعره مع المذكورين الآخرين، وهذه الصنيعة هي التي صنعهافي أوس بن حجر الذى جعل أول الطبقة الثانية من الجاهليين وقال: "وأوس نظير الأربعة المتقدمين، إلا إنا اقتصرنا في الطبقات على أربعة رهط". (الجمحي، ١٩٧٥م)

د- إذا وجد ابن سلام تشابها بين الشعراء في الغرض الشعرى، أوفي البيئة أو في الجنس، وعدد هولاء الشعراء أكثر من أربعة، فإنه يكتفى بأربعة شعراء فقط، ويذكر أسماء الباقين من دون أن ينظمهم في سلك أي طبقة.

٣- آثر ابن سلام الجمحى أن يقسم الشعراء إلى أقسام مختلفه، وهذا التقسيم لا يمكن أن يفر منه الجمحى، لأن الأمر لا يقف عند مجرد التاريخ والدراسة، بل يتعدا هما إلى ما يتعلق ببعض المبادئ، وهي كالآتى:

أ- الزمان:

أخذ ابن سلام الزمن أسسا لتقسيم الشعراء، فجعلهم في مجموعات: جاهليين، وإسلاميين ومخضرميين، وقال: "ففضلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين فنزلنا هم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة وما يقال فيه العلماء، وقد اختلف الرواة فيهم فنهم فنظر قوم من أهل الشعر والنفاذ في كلام العرب والعلم بالعربية إذا اختلف الرواة وقالوا بآرائهم وقالت العشائر بأهوائها، فلايقع الناس في ذلك إلا الرواية عمن تقدم". (الجمحي، ١٩٧٥م)

ومن خلال هذا النص نرى أن عملية النقد قد جرت قبل ابن سلام على الأشعار التى قالها العرب، إلا أن ابن سلام اختار من أشعار الشعراء تلك الأزمنة، ونظمهم في الطبقه التى يراها هم يستحقون بها، ولعل ابن سلام يذكر الزمان لبعض الشعراء، لأنه لابد من ذكر ذلك، وفي هذه المناسبة يقول محمد مندور: إن في ألفاظ ابن سلام نفسه مايدل على أنه لم يقصد إلى هذا التقسيم، ولم يفكر فيه، بل أملته طبائع الأشياء، وإنما كان تفكيره منصرفا إلى توزيع شعراء العهدين إلى طبقات تبعا لجودة شعرهم وكثرية. (مندور، ٢٠٠٧م)

ب- المكان:

نظر ابن سلام الجمحى إلى أماكن الشعراء في البلاد العربية، وخاصة في الجاهية والإسلام، فوجد أن هناك شعراء آخرين ،كثيرهم يسكنون في القرى المختلفة، ولم تكن لهم شهرة كشعراء المدن، وأطلق عليهم اسم "الشعراء الإقلميين"، "فجمعهم في باب شعراء القرى: مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف واليمامة والبحرين، منهم المسلمون ومنهم غير المسلمين وترتيبهم كالآتى:

أ- شعراء مكة المكرمة: عبد الله بن الزبعرى، وأبوطالب بن عبد المطلب، وأبوسفيان بن الحارث، ومسافرين أبي عمرو بن أمية، وضرار بن الخطاب، وأيوعزة الجنى، وعبد الله بن حذافة السهمي، وهبيرة بن أبي وهب.

ب- شعراء المدينة: حسان بن ثابث، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وقيس بن الخطيم، وأبو قيس بن أبي الأسلت.

ج- شعراء اليهود في المدينة وأكنافها: السموأل، والربيع بن أبي الحقيق، وكعب بن الأشرف، وشريح بن عمران، وشعبة بن الغريض، وأبو قيس بن رفاعة، وأبو الذيال، ودرهم بن زيد.

د- شعراء الطائف: أبو الصلت بن أبي ربيعة، وأمية بن أبي الصلت، وغيلان بن سلمة، وكنانة بن عبد ياليل، وأبو محجن الثقفى، وغيلان.

هـ- شعراء البحرين: المثقب العبدى، والمفضل بن معشر ابن أسحم. (الخفاجي، ١٩٨١م). ومع هذا فابن سلام يفاضل بين شعراء كل قرية، فيجعل حسان أشعر المدنيين، وعبد الله بن الزبعري أبرع المكيين. (مندور، ٢٠٠٧م)

ج- الفن الذاتي:

ذكر بن سلام الجمعى بعض شعراء الرثاء وخصص لهم بابا مستقلا، ولم يذكر السبب وراء ذلك، وهولاء هم: متمم بن نويره، والخنساء، وأعشى باهلة، وكعب بن سعيد الغنوي. وفاضل ابن سلام بين هولاء كما فاضل بين شعراء القرى فقال: "والمفضل عندنا متمم ابن نوبيرة". (الجمحي، ١٩٧٥م). يبلغ عدد شعراء القرية الذين ذكرهم ابن سلام في هذا الموضوع أربعة وسبعين شاعرا.

أما الشعراء الإسلاميون والمخضرمون الذين ذكرهم في القسم الثانى من كتابه، فهم الذين قسمهم إلى عشر طبقات، وفي كل طبقه أربعة شعراء فحول، وهم الذين عاشوا في عصر بني أُمية، وأما المخضرمون منهم فقد ألحق بعضهم بالجاهليين والبعض الآخر بالإسلاميين حسب قربهم من هذه الطبقة أو تلك.

وتلاحظ في هذا الموضوع أن ابن سلام يجمع بين التسجيل والتوجيه، إذ يسجل ما رواه من العلماء الموثقين، ويعمل فكره ليثبت آراء أولئك العلماء، ويوجهنا– بعد تنقيح– إلى ما يراه مناسبا للذوق الفنى.

تعليق الباحث على الكتاب (طبقات فحول الشعراء):

يرى الباحث أن ابن سلام الجمحى أقام الحكم النقدي للشعراء الفحول على مبادئ تناسب طبقاتهم ومنازلهم، وهذه المبادئ، هي: ابتكار الموضوعات في الشعر، وجودة ديباجة الشعر، والإجادة في الوصف والتصوير، والنظم على البحور المختلفة، والنظم على الأغراض المتنوعة، والتزام الشاعر مذهبا معينا أو غرضا خاصا به، والإجادة فيه، وأن يكون الشاعر متفوقا بالقصيدة الواحدة، وشدة متن الشعر وعذوبة المنطق، والثراء الإيقاعى في القصيدة، وإذكاء جذوة الشعر إثر الحرب بين القبائل.

ومن حلال هذه المبادئ يتضح لنا أن الروح العلمية هي التي غلبت على معظم أحكام ابن سلام، وخاصة في رأيه بأن عدم قيام الحرب بين بعض القرى العربية هو الذي أدى إلى قلة الشعر في أهلها، أو أدى إلى ندرته في الطائف، ومكة المكرمة، وعمان، ودفع إلى كثرته في المدينة المنورة. وهذا ليس بصحيح، لأن التاريخ العربي يخبرنا أن أن أهل مكة المكرمة أكثروا شعرا في الغزل، بعد ظهور الإسلام فيهم، وهذا عمر بن أبي ربيعة من مشاهير شعراء مكة في الغزل ولم يذكره ابن سلام إطلاقا في كتابه، وهذا يدل على أن الشعر ليس كل فيالحرب ولا قاصر عليها. (مندور، ٢٠٠٧م). ومما يدل على غلبة الروح العلمية في فكرة ابن سلام تفضيله تعدد أغراض الشعر على الإجادة فيه، وليس صحيحا أن يحكم بالكم في عملية الفن، وإنما يحكم بالجودة. يضاف إلى ذلك أن أحكام النقد عند ابن سلام تخلوا من تحليل دقيق، ومن إظهار جمال فني، وأما الواقع فهو أن ابن سلام أصاب المرمى في قضايا انتحال الشعر وتحقيقه،كما أصابه في كثير من القضايا التي ناقشناها في جمعه بين التسجيل والتوجيه.

الخاتمة

وفي هذه الخاتمة نكشف اللثام عن ما درسناه في هذا العمل، حيث تحدثنا بإيجاز عن حياة ابن سلام الجمحى، وثقافته ومؤلفاته. وتناولنا معنى التسجيل والتوجيه عند العلماء والأدباء، وفي الجانب التسجيلي، ذكرنا ما في الطبقات لابن سلام من أمور تتعلق بنشأة الشعر العربى، وأول مدرسة النقد الشعرى عند العرب، ودرسنا في الجانب التوجيهي آراء ابن سلام في تحقيق النصوص الشعرية عند العرب، ومهمة الدربة والممارسة قبل قيام بنقد الشعر، وأما في الجمع بين التسجيل والتوجيه ناقشنا فيه حكم ابن سلام على الشعر أو الشعراء، ووضعه الشعراء في الطبقات، وتقسيمهم إلى أقسام مختلفة.

وإذا كان الباحث ينظر إلى هذه الموضوعات ويدرسها على ضوء المنهج التحليلى أو الوصفى، فإنه عليه أن يوصي الدارسين، وأن يقترح لهم ما يؤدى إلى تقييم كتاب طبقات فحول الشعراء تقييما رائعا، وأن يسلط الضوء على بعض الأمور التي تنفع الإنسانية عامة والدارسين خاصة في هذا التقييم، ومنها:

١- على الباحثين أو الدارسين أن يحققوا جميع القصائد الواردة في هذا الكتاب، وأن يجمعوها ككتاب مستقل للبحث والدراسة.

٢- يحتاج الدارسون إلى البحث عن مصطلحات نقدية في كتاب طبقات فحول الشعراء، لأن مثل هذا البحث يفيد الأكاديميين وغيرهم في دراساتهم وخاصة عند النقد التطبيقي عند العرب.

٣- ينبغي للأساتذة في الجامعات، أن يشجعوا طلابهم الذين يبحثون عن النقد الأدبي، وأن يدرسوا طبقات فحول الشعراء على ضوء المناهج الحداثية كالأسلوبية، والسميلوجية والتأويلية.

References

Al- Quran al- Karim

Al- Khafaji, Abdul Muni'm (1981). *Dirasatun Fi an-Naqdi Al-adabi Inda al-Arab*. Cairo: Dar al Fikr.

Al-Akub, Isa Ali. (2006). *At-Tafkir an- Naqdi Inda al-Arab*. Ed.5. Beirut: Dar al Fikr.

Al-Asfahani, Abul Faraj. (1972). *Al- Agani, Tahqiq Aliyi al –Najdi Nasif*. Cairo: Al-Hayhat al- MISRIYYAH AL-Amah lIL-KItab.

Al-Jumahi, Abu Abduillahi Abdus-salam. (1975). *Tabaqat Fahul Shuara' qaraahu wa nasharahu Abul Fahr Mahmud Muhammad Shakir*. Cairo: Matbat al mudni.

Azil, Husna Muhammad. (1998). *Al-Ba'th al-Adabi, Ususuhu Wa Manahijuhu*. Cairo: Dar al-Fikr.

Badawi, Ahmad Ahmad. (2003). *Usus al-Naqd al-Adabi iNDA AL-Arab*. Ed.4. Cairo: Matbat Nahdat Misr.

Mandur, Muhammad. (2007). *An-Naqd al-Minhaji Inda Al-arab*. Cairo: Al-Hayhat Al-Misriyyah al-Amah Lil Kitab.

Matlub, Ahmad. (2001). *An-Naqd al-Arabin al-Qadim*. Beirut: Maktabat Labnan.